علماء المذاهب الإسلامية في ندوة بعثة الحج والزيارة:

«التلبية الحقيقة» تقرّب روحي وبراءة من الجهل والتكفير والإستكبار

سُميّ الأسبوع الأول من شهر ذي القعدة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بأسبوع الحج حيث يتجهّز الحجيج من هنا وهناك في البلاد للذهاب إلى المدينة المنوّرة ومن بعدها إلى مكة المكرّمة. في هذا الأسبوع يجتمع النخب العلمية والمعرفية من أنحاء العالم حول البعض في ندوات إلكترونية تُقيمها المعاونية للشؤون الدولية لبعثة الحج والزيارة الإيرانية من خلال الفضاء الإفتراضي.

الوفاق/ خاص

الشيخ صادق النابلسي: لايمكن أن نتورّط في أحكام تجريدية ومواقف غير واقعية في الحج

الشيخ مازن الشريف: كل من يظن أنّ الإلحاد سيغلب يُخطِئ بشكل واضح

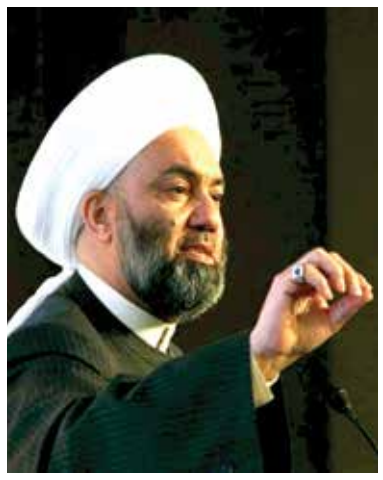

الشيخ خالد الملا: لبيك، لاشريك لك" برائة علنية واضحة بلغةٍ و بيان واضح، من المستكبرين وصهاينة

قد إجتمع مايقارب ١٠٠ مفكّر وجامعي وداعية دينية في الندوة الأولى من سلسلة الندوات تُقام في أسبوع الحج من ١٤ دولة إسلامية وغربية ليتبادلا علمياً وتجريباً في مجال الحج الإبراهيمي.
في السياق ذاته قال رئيس جمعية علماء العراق، الشيخ خالد الملا أثناء محاضرته التي ألقاها:

الركن الخامس للدين

الحج كما تعلمون هو الركن الخامس من أركان الإسلام و قد فرضه الله سبحانه و تعالى في السنة التاسعة من الهجرة على الصحيح من أقوال العلماء ، حيث قال ربنا جل و علا : "وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ"

المقصود هو برائة من المشركين

ينبغي لنا أن نتعرّف على هذا الثواب العظيم الذي إدّخره الله سبحانه و تعالى لنا كمسلمين و يبقى خطاب الحج هذا الخطاب المدوي في عنان السماء ، هذا الخطاب و هذه اللغة التي نجتمع بها جميعا و نرفعها جميعا بشتّى لغتنا نقولها بلغة واحدة « لبيك اللهم لبيك » لبيك لاشريك لك لبيك ، إنّ الحمد و النعمة لك و الملك ، لاشريك لك » وكأنّ المقصود من هذا الشعار هو برائة علنية واضحة بلغةٍ و بيان واضح ، براءة من المشركين و من نهجهم و من المستكبرين في العالم ومن صهاينة و متصيهنين يعادون الإسلام وأهله ، ولذلك هذا الخطاب بلغته البسيطة يرعبهم. ترعبهم هذه الملايين من الناس الذين يلبسون ثوبا واحدا و يتحدثون بلغة وخطاب واحد و يتبرّأون ممّن تبرّأ الله تعالى منهم و رسوله (ص) و لذلك ربنا (جل و علا) قال في محكم كتابه :« وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا » قال المفسرون لمّا فرض ابراهيم (ع) من بناء البيت امره الله عزّ و جل أن يؤذّن في الناس بالحج فقال ابراهيم « يا رب مايبلغ صوتي » فقال الله جلّ و علا « أذّن و عليّ البلاغ » و صعد ابراهيم على جبل بمكة و قال « أيّها الناس إنّ ربّكم بنى بيتا فحجّوا » فأسمع أصلاب الرجال و أرحام النساء ممّا سبق في علم الله الأزلي أن يحجّ فأجابه « لبيك اللهم لبيك ».و قد حجّ ابراهيم و اسمعيل (عليهما السلام) مشاة .

أهميّة الحج عند الأئمة

الإمام الحسن بن علي (ع) حج خمسا و عشرين حجّة ماشيا و قد خرج الإمام جعفر الصادق (ع) للحج فلمّا أراد أن يُلَبي تغيّر وجهه و ارتعدت فرائصه فقيل له « ما أصابك يا إمام؟ » فقال :« أخاف أن أسمع غير الجواب » ومن المؤكد أنّ خوفه من الله تعالى شديد و لكن الله أراد أن يبيّن لأصحابه منزلة الخالق و أهمية الحج و مناسكه.

تلاقي المسلمين فرصة ذهبية

الحج مؤتمر كبير موسع من المسلمين وهم يتلقون ويتلاقون بلغات مختلفة و بلهجات مختلفة و بألوان و بشرات مختلفة إنما مقصودهم شيء واحد و هو الله سبحانه و تعالى لأننا حينما نرجع الى معنى الحج و جميعنا قصدنا هو الله سبحانه و تعالى والله طلب منّا أن نكون قريبين إليه ، لكن ربنا جلّ و علا أيضا أمرنا و طلب منّا أن نتبرّأ من كل اعداء الله عزّ و جل و أعداء دينه و أعداء المؤمنين حينما نكون على قلب رجل واحد إن شاءالله تعالى

مازن الشريف: الحج يحارب الطائفية

وقال رئيس الإتحاد العالمي لعلماء التصوف الشيخ الدكتور مازن الشريف أثناء محاضرته أن:
ما أعظم الحاجة في أن نتدبّر في هذه الشرائع لنسد الذرائع و نتبيّن ما ينفع الأمة في وقتها و زمانها و في أن تكسب معركتها الوجودية التي تستهدف قيمها و وحدة صفها و تستهدف ثوابتها و يزرع زارعو الشر و الذين لايريدون لهذه الأمة أن تلتحم مجددً أن تجتمع أن يكُفّ الدم الذي فيها، ينشرون كل مرة بحجة أو بأُخرى بدعوة كاذبة أو بأخرى أموراً يريدون من خلالها أن يشوّشوا على الناس دينهم.
لقد رأينا كيف استحكمت الطائفية و حاربوا بها احرار الأمة ، الذين وقفوا أمام هجمات شرسة . تجاوزت الجانب الفكري الى الجانب العسكري ، الى الجانب التنظيمي الذي فخّخ و فجّر بعد أن كفّر، بعد أن أخذ من شباب الأمة نصيباً ، القى بهم في النيران و هو يهمهم أنهم ماضون الى حور الجنان.

علاقة علماء التصوف مع الحج وفلسطين

و القى بهم إلى تسفيه العلماء و ادعاء العلم دون بيّنة إلى مخالفة ما كان عليه اجماع في العقيدة و في الديانة . و أذكر أنّ الشيخ سيدي عبدالقادر الجيلاني قدّس الله سره الشريف قد جمع أقطاب الأمة في زمانه . هذا الشريف الحسني الأبي الحسيني النقي جمع الأمة في زمانه بعد أن جاء الصليبيون يُقتّلون و تفاخر مؤرخوهم أنّهم كانوا يضربون رئوس ألاطفال المسلمين على الحجارة في فلسطين حتى سال الدم في الأنهج فتنادى الأقطاب في ذلك الزمان و هم من ذرية رسول الله (ص) و من محبيهم و المحسوبين عليهم فجمعهم أولا في العراق في بغداد الأبية الجميلة وهي دار السلام و كان ممن حضر ذلك المجمع سيدي احمد الرفاعي عميد المدرسة البطائحية وكذلك الشيخ عدي ابن مسافر و زميله في الدرس وكلاهما درسا عند الشيخ عقيل منبجي و جاء حياة ابن عيسى الحرّاني والشيخ شعيب الغوث الذي قدما بلاد المغرب وهو عالم من أعلام هذه الأمة و أتى عدد كبير من عارفين احصاهم بعض المؤرخين في خمسين وليا صالحا و قطبا من ذلك الزمان ، وكان شعارهم «القدس تناديكم» و اجتمعوا في مؤتمر الحج .

الشيخ عبدالقادر الجيلاني والحج

استغلّ سيدي عبدالقادر الحج لوعيه بقمته في هذه التجمعات البشرية التي تأتي من كل ألوان الطيف ، من مسلم هذه الأمة الموحدين سنة و شيعة من مدارسها المختلفة ، من مشاربها العديدة ، من ألوانها ، من أجناسها ، عربا و عجما ، القادمون من سندها و هندها ، القادمون من مشارقها و مغاربها ، يوّحدون الله الواحد ، يصعدون جبل المعرفة ، و في عرفات معرفة لله ،يطوفون بكعبة النور بقلوب من نور ، لم يقفوا عند الحجارة بل تجاوزوا ذلك للإشارة التي أوصلتهم للإشارة ، فجمعهم سيدي عبدالقادر وكان من أثر ذلك أن يكون أهم قادة الجيش الرجل الصالح نورالدين زنكي أهم قادته كانوا من تلاميذ الشيخ عبدالقادر الجيلاني والشيخ أحمد الرفاعي وكذلك وزراء و قادة جيشه و معظم جنوده كانوا من أكراد هاكار الذين كان شيخهم الشيخ عدي ابن مسافر.

علماء الإسلام وإضاءة علمية للعالم

أنّ علماء الذين نشروا النور حتى وصلت الحضارة الى ما وصلت إليه كانوا من أبناء الأمة الإسلامية ، ماكانوا يكتشفون البصريات و علمها لولا ابن الهيثم ، ولاكانوا يفهمون الجبر لولا جابر ابن حيان ، ولاكانوا فهموا الخوارزميات المستخدمة في الذكاء الاصطناعي و في هذه المواقع لولا الخوارزمي ، و لاكان تطور الطب لولا ابن سينا ، ولاكان اكتشف الجهاز الهضم لولا ابن نديم ، و لاكان طوّر الفلك لولا علمائه المسلمين و فلاسفة المسلمين كالكندي و من أمثال الشريف الإدريسي و غيرهم . لذلك وجب على علماء الأمة أن يردّوا بالعلم و الحجة و البينة و أن نجتمع نتكاتف.

شعار الإمام الحسين(ع) في عصرنا

عندما يتوقّف صوت الحق يزعم أهل الباطل أنّهم على حق ، كما قال الإمام علي (ع) أوكما نص على ذلك في كلامه.
و نحن بحمدالله منذ أن بدأت هذه الدعوشة تنتشر في هذه الأمة وقفنا بالموقف و الكلمة الشجاعة أيّدنا و ساعدنا و كنّا نعضد أمننا و جيشنا و نطوف الأرض شرقها و غربها ونادينا بشعار رفعه جدنا الإمام الحسين (ع) عندما قال « إنما خرجت أريد الإصلاح في أمة جدي » بأننا رأينا أن ذلك من أولى مهماتنا ورثنا ذلك كابرا عن كابر ودفعنا في هذه الأسرة المباركة مادفعنا من شهداء طف و فخ و ممّا كان بعد ذلك.
إنّ الحج ليس مجرد شعيرة يمارس فيها الناس طقوسا توارثوها عن هدي نبوي محمدي(ص) فنعم السند ذلك ، و نعم الوراثة تلك يمضون الى ربهم ، يجتمعون في مجمع يشابه الحشر يستحضرون يوم القيامة و يستحضرون بطوافهم بهذه الكعبة المنورة المدورة بالأنوار لقياربهم . عندما تكون الوجوه ناظرة الى ربها ناضرة ، يقبّلون حجر الأسعد لسعادة إسعاده وإمداده من قِبل رب العالمين

بالتأكيد الإلحاد لن يغلب الدين

كل من يظن أنّ الإلحاد سيغلب ، يقول له أنّ الله غالب ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون. كل من يريد أن تشوّه الإنسانية سيخبره أن آدم كان هنا و أنّ حوّا كانت هناك كل من ابتلي وانتظر فرجا يخبره أنّ السيدة هاجر كانت تركض بين الصفا و المروة تنظر رضيعها يلاقي من الحر و الغيب و الضمئ و قد تركها زوجها خليل الرحمان(ع) فتناديه « أربك أمرك بهذا يا ابراهيم؟ » قال «بلى» قالت « إذَن لن يضيّعنا » فيزم الماء زمة.

عدوالإسلام يريد تدمير الإنسانية

في مجمع يذكّرنا كيف اتى ابرهة يريد أن يحطم البيت ، فأرسل الله عليه طيراً أبابيل . هذا ابرهة جديد يريد أن يدمّر هذه الإنسانية و يظن أن فيله المعدني الذي يركبه منجيه من عذاب الله وسيرسل الله عليه بقائم آل محمد بمهدي هذه الأمة وقائمها طير الأبابيل تجعله كعصف مأكول فلايغني عنه ما صنع من سلاح و ما دخر من مال ثم رددنا عليكم الكرة عليهم ثم يقول فإذا جاء وعد الآخرة ليسوء وجوهكم . نحن نستحضر هذه المعاني العظيمة الجميلة عندما نتأمل هذا الحج المبارك. نريد أن نقول أنّ الإسائة للقرآن الكريم اسائة للعقل الإنساني ، قبل أن تكون مخرجاتنا الى الجوانب الدينية و العقائدية و التقديسية . نبدأ من العقل ، عندما سئلت منظومة ChatGPT هذه منظومة الذكاء الإصطناعي « هل تستطيع أن تكتب لنا آية كالقرآن الكريم ؟ » أجاب بما برمجوه و لوكان يفكّر لوحده لأجاب نفس الجواب فقال «إنّما هذه آيات من ربّ السماء ، لايمكن لأي برنامج أن يقلّدها .

النابلسي: البعدان الروحي والإجتماعي للحج متلاحمان

وقال الشيخ المفكر والأستاذ الجامعي اللبناني الشيخ الدكتور صادق النابلسي في محاضرته:
الحج في واقع الأمر يُمثّل القاسم المشترك بين جميع أفراد المسلمين وهذا مايعطي للحج أهمية إضافية ويجعله بمثابة العمود الذي يقوم عليه البناء.
من منطلق هذه الأهمية التي يحظى بها الحج في النصوص الإسلامية والتراث الإسلامي يبدو من الضروري أن يكون للفقه الإسلامي دوره في الإهتمام بهذه الفريضة.
وأريد هنا أن أضع ميزاناً لقيمة فقه الحج الذي يمارسه الفقيه المسلم فإذا قدّم الفقه حجّاً مفرغاً من كلّ قيمة، هذا الأمر يساعد على تهاوي الإسلام والمسلمين ويعمل على تخلّف الأمة الإسلامية فلن يكون هذا الحج حجاً إبراهيمياً ولامحمّدياً. العبادات الإسلامية جاءت لتُحرّر الإنسان وتصنع من الإنسان حضارة كبرى في التأريخ الإنساني وهذا ميزان ومؤشّر لصواب الحركة الإسلامية ونتائجها.

يجب على الفقيه الإقتراب من الواقع

النقطة الثانية التي أريد أن أُشير إليها هي قضية النظرة التجريدية بالنسبة لبعض الفقهاء والباحثين في مسألة الحج. لايمكن أن نتورّط في أحكام تجريدية ومواقف غير واقعية عندما نغيب عن مسرح الحدث، فلابدّ للفقيه ولابدّ للذي يكتب عن الحج أن يقترب قليلاً من أرض الواقع لأنه بذلك تتبلور لديه مجموعة من التصورات والأفكار المهمّة على مستوى الواقع الإسلامي بشكل عام وما يقوله البعض بأنّ الجهاد ساحة التفقّه الحقيقي فالذين عايشوا الواقع وخاضوا التجارب وإقتربوا من طبيعة الحياة بمختلف ألوانها وتمظهراتها، يفهمون المناخ الذي جاءت به النصوص لتحلّ مشكلة أو تفتح أفقاً فكرياً أو أفقاً روحياً لدى الإنسان. ولذلك بما يتعلق بالحج لايمكننا أن نجرّه عن المعنى السياسي ومن يعرف طبيعة الملك والإدارة لايمكنه إلّا أن يكون مقترباً جداً من الواقع. السياسة ليست هي فهم النصوص فقط وإنّما هي ملامسة الواقع لأنّ ذلك يُعطي بعداً حيويّاً وديناميّاً وبالتالي يختبر الإنسان حقيقة وجوده وحقيقة مشاعره من خلال ملامسته للواقع.
لاشكّ في أنّ الحج فريضة ميدانيّة وجهادية وواقعية جداً. نعم! صحيح أنّ البعد الروحي والأساسي في هذه الفريضة وأنا أريد أن أشير إلى هذه المسألة الهامّة. هناك من يُجرّد الحج من البعد الروحي ويُعلي من البعد الفقهي. المسألة هنا في غاية الأهمية حيث يجب أن يكون الحج فقهياً وروحيّاً، لا أن يكون روحيّاً معزولاً عن الأبعاد الفقهية ولا فقهياً معزولاً عن الأبعاد الروحية.

ظاهرتان يجب معالجتهما

نحن في واقع الأمر نشاهد أكثر من ظاهرة في الحج. الظاهرة الأولى: هم الذين يذهبون إلى الحج والعمرة ويذهبون ويتقربون من الضوابط الشرعية والفقهية وهي لايُستهان بها ولكن لايتخطّون هذه الضوابط. هناك الظاهرة الثانية وهم الذين يذهبون إلى الحج والعمرة ويرتقون في المدارج الروحانية من دون أيّ معرفة بالأحكام الشرعية ويعيشون حالة من الجهل فيما يتعلّق بتلك الأحكام. لذلك أقول أنّ مسألة الحج، في غاية الأهمية إذا دخلنا إلى أبعادها المختلفة.
إذن هناك نقطة أشير إليها بعُجالة وهي قضية الحج القرآني وكثير منّا يذهب إلى الحج من دون معرفة الأبعاد القرآنية والأحكام القرآنية المتعلقة بالحج. إعادة إستحضار الفقه القرآني يُشكّل أساساً في رحلة الإنسان إلى الحج. ليفهم تلك الأبعاد العظيمة التي أرادها الله سبحانه وتعالى من هذه الفريضة وهذا البعد يوازي البعدين الروحي والفقهي.

الحج فرصة ذهبية لتبادل فقهي حقيقي

هناك مسألة مهمة أخرى وهي مسألة التقريب فبناءً عليه يجب أن يتناول الفقه المقارن وتتعرّف الأوساط الإسلامية فقهياً وروحياً وميدانياً بعضها إلى بعض. لايجب أن يُكتفى بالندوات البعيدة ومن دون أن نعرف ماذا يُفكّر الآخر وماذا يمارسُ الآخر شعائره. هذه من الأمور التي يجب أن تكون دراسات حولها ويجب أن يتعرّف بعضنا عن الآخر فقهياً بشكل كافٍ لكي لانصطدم في كثير من الخطوط التي يجب أن تكون خطوطاً في إطار توحيد العلاقة الإسلامية وفي إطار تقارب المسلمين وإستفادتهم بعضهم من البعض.
ويجب أن على علماء الأمة الإسلامية من مختلف المذاهب تبادل التجارب والعلم والنصيحة والجلوس مطوّلاً لتقديم مقاربة إسلامية شاملة فيما يتعلّق بالحج.

علمنة الحج، لامبرّر لها

ربما نحن نحتاج إلى رؤية إسلامية فيما يتعلّق بكلّ الأماكن والمشاهد الإسلامية، كيف يمكن إدارتها من الناحية السياسية والإجتماعية والدينية, خصوصاً أقول أنّ في واقع الأمر حينما ندرس قضية الحج هناك إتّجاهان في هذا الأمر: هناك من يريد أن يُعلمِن العبادات بحيث يجعل العبادة خالية من أيّ علاقة مع السياسة.
نحن إذا قرأنا كتب الفقهاء المسلمين الذي يتحدّثون عن العبادات بشكل عام لانجد غياباً للسياسة والإجتماع عن الإجتماع. على سبيل المثال هناك ربط قويّ جداً بين مسألة الصوم وواقع المسلمين الإجتماعي وهناك ربط واضح ما بين قضايا المسلمين الكبرى وبين الحج ولايجوز أن تغيب السياسة عن العبادة على الإطلاق والحج من أكبر العبادات التي نحتاج فيها إلى أعمال الفكر ومقاربة القضايا التي تهمّ المسلمين والمجتمع الإسلامي بشكل عام.